ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية بإكثار الذكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه، وأن تكون هممهم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا يتفصون عنه لأنّ فلاحهم فيه وفوزهم منوط به. وعن ابن عباس: لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى، وحضور الجنائز، وزيارة أخ في الله، وعن الحسن وسعيد بن المسيب: طلب العلم، وقيل: صلاة التطوّع. وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرًا في هذه الآية.

وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾.

روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشوا أن يسبقوا إليه فما بقي معه إلا يسير قيل: ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام: «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعًا لأضرم الله عليهم الوادي نارًا»[1]. وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو، وعن قتادة: «فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير.

فإن قُلْتَ: فإن اتفق تفرق الناس عن الإمام في صلاة الجمعة كيف يصنع؟ **قُلْتُ:** إن بقي وحده أو مع أقل من ثلاثة فعند أبي حنيفة يستأنف الظهر إذا نفروا عنه قبل الركوع، وعند صاحبيه إذا كبروهم معه مضى فيها وعند زفر إذا نفروا قبل التشهد بطلت.

فإن قُلْتَ: كيف؟ قال: ﴿إليها﴾ وقد ذكر شيئين؟ **قُلْتُ:** تقديره إذا رأوا تجارةً انفضوا إليها، أو لهوًا انفضوا إليه. فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، وكذلك قراءة من قرأ انفضوا إليه، وقراءة من قرأ لهوًا أو تجارة انفضوا إليها، وقرئ إليهما. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في أمصار المسلمين»[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المنافقون مدنية

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾.

أرادوا بقولهم: ﴿نشهد إنك لرسول الله﴾ شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عزّ وجل: قالوا ذلك ﴿والله يعلم﴾ أن الأمر كما يدل عليه قولهم: إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون في قولهم: نشهد. وادعائهم فيه المواطأة[3] أو إنهم لكاذبون فيه، لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته شهادة. أو أراد والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم، لأنهم كانوا يعتقدون أنّ قولهم: إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه.

فإن قُلْتَ: أي فائدة في قوله تعالى: والله يعلم إنك لرسوله؟ **قُلْتُ:** لو قال: قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون لكان يوهم أنّ قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله: والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام.

ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾.

﴿اتخذوا أيمانهم جُنَّة﴾ يجوز أن يراد أنّ قولهم: نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة، لأنّ الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل: أشهد، وأشهد بالله، وأعزم وأعزم بالله، في موضع أقسم وأولي. وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله: على أن أشهد يمين[4] ويجوز أن يكون وصفًا للمنافقين في استجنانهم بالأيمان وقرأ الحسن البصري: إيمانهم، أي: ما

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الجمعة، باب: إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة (الحديث رقم: 936)، ومسلم كتاب: الجمعة، باب: في قول الله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائما﴾ (الحديث رقم: 36 ـ 863)، وأخرجه ابن حبان في كتاب: أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم (الحديث رقم: 6876)، وحديث كعب بن عجرة أخرجه مسلم في المصدر السابق (الحديث رقم: 39 ـ 864)، وأخرجه أبو داود في المراسيل. باب: الجمعة (الحديث رقم: 62).

(2) رواه الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم 4/29.

(3) قال أحمد: ومثل هذا من نمطه المليح، قوله: ﴿قالت الأعراب آمنا، قل: لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا﴾ وقد كان المطابق لقوله: ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ أن يقال لهم: لا تقولوا آمنا، ولكنه لما كان موهماً للنهي عن قول الإيمان، عدل عنه على ما فيه من الطباق إلى ما سلم الكلام فيه من الوهم، وذلك أجل وأعظم من فائدة = المطابقة، لا سيما في مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، ألا تراهم كيف غالطوا أنفسهم متغابين وليسوا على ضعفهم متجاهلين، عندما أنزل قوله: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾.

(4) قال أحمد: أحد القولين عند مالك رحمه الله إذا قال: أشهد وأحلف وأقسم ولم ينو بالله ولا بغيره، كما نقل عن أبي حنيفة أنه يمين، وليس بالمشهور أما لو نوى بالله وإن لم يتلفظ فيمين بلا إشكال، وليس فيما نكره دليل على ما ذكره، فإن قوله: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ غايته أن ما نكروه يسمى يميناً، وليس الخلاف في تسميته يميناً، وإنما الخلاف: هل يكون يميناً منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا، وليس كل ما يسمى حلفاً أو قسماً يوجب حكماً، لا ترى أنه لو قال: أحلف ولم يقل بالله ولا بغيره، فهو من محال الخلاف في وجوب الكفارة به، وإن كان حلفاً لغة باتفاق؛ لأنه فعل مشتق منه.

أظهروه من الإيمان بألسنتهم. ويعضده قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا﴾[1] ﴿ساء ما كانوا يعملون﴾ من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله، وفي ساء معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾.

ذلك إشارة إلى قوله: ﴿ساء ما كانوا يعملون﴾. أي: ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالاً ﴿بأنهم آمنوا ثم كفروا﴾ أو إلى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان أي: ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا ﴿فطبع على قلوبهم﴾ فجسروا على كل عظيمة.

فإن قُلْتَ: المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم[2]. فما معنى قوله: آمنوا ثم كفروا؟ **قُلْتُ:** فيه ثلاثة أوجه: أحدها آمنوا أي: نطقوا بكلمة الشهادة، وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم كفروا، ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما أطلع عليه من قولهم: إن كان ما يقوله محمد حقًا فنحن حمير. وقولهم في غزوة تبوك: أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أي: وظهر كفرهم بعد أن أسلموا، ونحوه قوله تعالى ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾. والثاني آمنوا أي: نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام. كقوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إنما نحن مستهزؤن﴾[3]. والثالث أن يراد أهل الردّة منهم. وقرئ: ﴿فطُبع على قلوبهم﴾. وقرأ زيد بن علي: فطبع الله كان عبد الله بن أبي رجلاً جسيمًا صبيحًا فصيحًا نلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته، وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الألسن[4]. فكان النبي ﷺ ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون إلى كلامهم.

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾.

فإن قُلْتَ: ما معنى قوله:

﴿كانهم خُشُب مسندة﴾ ؟ **قُلْتُ:** شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط، ولأنّ الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكًا فارغًا غير منتفع به أسند إلى الحائط، فشبهوا به في عدم الانتفاع، ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان، شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم. والخطاب في رأيتهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب. وقرئ*: يسمع على البناء للمفعول وموضع كانهم خشب رفع على هم كانهم خشب، أو هو كلام مستانف لا محل له، وقرئ*: خشب جمع خشبة كبدنة وبدن، وخشب كثمرة وثمر، وخشب كمدرة ومدر، وهي في قراءة ابن عباس، وعن اليزيدي أنه قال في خشب: جمع خشباء، والخشباء الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم. ﴿عليهم﴾ ثاني مفعولي يحسبون أي: يحسبون كل صيحة واقعةً عليهم[5] وضارةً لهم لجبنهم وهلعهم، وما في قلوبهم من الرعب إذا نادى منادٍ في العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعًا بهم. وقيل: كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماؤهم وأموالهم. ومنه أخذ الأخطل:

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلاً تكرّ عليهم رجالاً

يوقف على عليهم ويبتدأ ﴿هم العدوّ﴾ أي: الكاملون في العداوة، لأن أعدى الأعداء العدوّ المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدَوي ﴿فاحذرهم﴾ ولا تغتر بظاهرهم. ويجوز أن يكون هم العدوّ المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير.

فإن قُلْتَ: فحقه أن يقال هي العدوّ! **قُلْتُ:** منظور فيه إلى الخبر كما نكر في هذا ربي وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك. ﴿انى يؤفكون﴾ كيف يعدلون عن الحق تعجبًا من جهلهم وضلالتهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ

---

(1) سورة المنافقون، الآية: 3.

(2) قال أحمد: ويحتمل وجهاً رابعاً، وهو: أنهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة في التوراة؛ لأنهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة، ولعل في المنافقين يهوداً، وإن لم يكن فقد كان الإيمان قبل مبعثه من الفريقين اليهود وعبدة الأوثان من العرب، إلى نزول قوله: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة﴾ كيف حكى الله تعالى عن الفريقين وما كانوا يقولونه وبينة النبي ﷺ.

(3) سورة البقرة، الآية: 14.

(4) قال أحمد: وفيما قال اليزيدي نظر من حيث مقتضى العربية، وإلا فهو متمكن المعنى، ذلك أنها قرئت بضم الشين وسكونها قراءتين مستفيضتين، ففيه دليل أن أصلها الضم والسكون إنما هو طارئ عليه تخفيفاً، وهذا يبعد كونها جمع خشباء على وزن فعلاء؛ لأنّ قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمر، ولا يطرأ الضم، فلو كان كما قال لم تضم شينها، والله تعالى أعلم.

(5) قال أحمد: وغلا المتنبي في المعنى فقال:

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾.

﴿لَوَّوْا رؤوسهم﴾ عطفوها وأمالوها إعراضًا عن ذلك واستكبارًا. قرئ* بالتخفيف والتشديد للتكثير. روي «أن رسول الله ﷺ حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم. ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه: يا للمهاجرين! وسنان: يا للأنصار؟ فأعان جهجاهًا جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانًا. فقال عبد الله لجعال: وأنت هناك، وقال: ما صحبنا محمدًا إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمن كلبك يأكك. أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، عني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ، ثم قال لقومه: ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم؟ أما والله لو أمسكتم عن جعال ونويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم، ولأوشكوا أن يتحوّلوا عنكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد. فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عز من الرحمن وقوّة من المسلمين. فقال عبد الله: أسكت، فإنما كنت ألعب. فأخبر زيد رسول الله فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله. فقال: «إذن ترعد أنف كثيرة بيثرب». قال: فإن كرهت أن يقتله مهاجري، فأمر به أنصاريًا، فقال: «فكيف إذا تحدّث الناس أنّ محمدًا يقتل أصحابه، وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني» قال: والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك، وإن زيد الكاذب»[1]. وهو قوله تعالى: **﴿اتخذوا أيمانهم جُنَّة﴾**[2] فقال الحاضرون: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدّق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم. وروي أن رسول الله قال له: لعلك غضبت عليه؟ قال: لا. قال: فلعله أخطأ سمعك؟ قال: لا. قال: فلعله شبه عليك؟ قال: لا. فلما نزلت لحق رسول الله زيدًا من خلفه فعرك أذنه وقال: «وفت أذنك يا غلام إنّ الله قد صدقك وكذب المنافقين». ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه. وقال: إنّ حبابًا اسم شيطان. وكان مخلصًا وقال: وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الأعز وأنا الأذل. فلم يزل حبيسًا في يده حتى أمره رسول الله بتخليته»[3].

وروي أنه قال له: «لئن لم تقرّ لله ورسوله بالعز لأضربن عنقك، فقال: ويحك أفاعل أنت؟ قال: نعم فلما رأى منه الجدّ قال: أشهد أنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرًا»[4]. «فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك. فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أومن فآمنت، أمرتموني أن أزكي مالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد»[5] فنزلت **﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾**[6]. ولم يلبث إلا أيامًا قلائل حتى اشتكى ومات.

سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾.

﴿سواء عليهم﴾ الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لأن الله لا يغفر لهم، وقرئ*: استغفرت على حذف حرف الاستفهام لأنّ أم المعادلة تدل عليه. وقرأ أبو جعفر: آستغفرت، إشباعًا لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلبًا لهمزة الوصل ألفًا كما في آلسحر وآلله.

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾.

﴿ينفضوا﴾ يتفرقوا، وقرئ*: ينفضوا، من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم، وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم. **﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾** وبيده الأرزاق والقسم فهو رازقهم منها وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم، ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون **﴿لا يفقهون﴾** ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان. وقرئ*: ليخرجنّ الأعز منها الأذل بفتح الياء وليخرجنّ على البناء للمفعول، وقرأ الحسن وابن أبي عبلة: لنخرجنّ بالنون، ونصب الأعز والأذل. ومعناه: خروج الأذل أو إخراج الأذل أو مثل الأذل.

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾.

﴿ولله العزة﴾ الغلبة والقوّة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الأخصاء بذلك كما أنّ المذلة والهوان للشيطان ونويه من الكافرين والمنافقين، وعن

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: التفسير سورة المنافقين، باب: ﴿اتخذوا أيمانهم جُنَّة﴾ (الحديث رقم: 4901)، ومسلم في كتاب: في صفات المنافقين وأحكامهم (الحديث رقم: 1/2774)، والترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة المنافقين (الحديث رقم: 3313).

(2) سورة المجادلة الآية: 16.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير سورة المنافقين، باب: (يقولون لك لئن رجعنا...) (الحديث رقم: 4907).

(4) رواه الثعلبي في تفسيره والواحدي في أسباب النزول ص 240 ـ 241.

(5) راجع الحديث 163.

(6) سورة المنافقون، الآية: 5.

بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة: ألست على الإسلام وهو العز الذي لا ذل معه، والغني الذي لا فقر معه. وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنّ رجلاً قال له: إنّ الناس يزعمون أنّ فيك تيهًا، قال: ليس بتيه، ولكنه عزة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾.

وتلا هذه الآية: **﴿لا تلهكم﴾** تشغلكم **﴿اموالكم﴾** والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها، والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها. **﴿ولا اولادكم﴾** وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم، وقد عرفتم قدر منفعة الأموال والأولاد، وأنه أهون شيء وأدونه في جنب ما عند الله **﴿عن ذكر الله﴾** وإيثاره عليها **﴿ومن يفعل ذلك﴾** يريد الشغل بالدنيا عن الدين **﴿فاولئك هم الخاسرون﴾** في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل: ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن: جميع الفرائض. كأنه قال: عن طاعة الله وقيل: القرآن. وعن الكلبي: الجهاد مع رسول الله ﷺ. من في.

وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾.

من في **﴿مما رزقناكم﴾** للتبعيض والمراد الإنفاق الواجب **﴿من قبل أن ياتي احدكم الموت﴾** من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الإمهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعضّ أنامله على فقد ما كان متمكنًا منه، وعن ابن عباس رضي الله عنه: تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل. وعنه: ما يمنع أحدكم إذا كان له مال أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها. وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو رأى خيرًا لما سأل الرجعة، فقيل له: أما تتقي الله يسأل المؤمنون الكرة. قال: نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنًا يعني: أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها. وكذا عن الحسن: ما من أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج إلا سأل الرجعة، وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة **﴿لولا اخرتني﴾** وقرئ: أخرتن، يريد هلا أخرت موتي **﴿إلى أجل قريب﴾** إلى زمان قليل **﴿فاصدق﴾** وقرأ أبي فأتصدق على الأصل. وقرئ: وأكن عطفًا على محل فأصدق كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن. ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ. وقرأ عبيد بن عمير: وأكون على، وأنا أكون عدة منه بالصلاح.

وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾.

﴿ولن يؤخر الله﴾ نفى للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه: منافاة المنفى الحكمة، والمعنى: أنكم إذا علمتم أنّ تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل إليه وأنه هاجم لا محالة وأنّ الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم تبق إلا المسارعة إلى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله، وقرئ: تعملون بالتاء والياء. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المنافقين بريء من النفاق»[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التغابن مدنية

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾.

قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل، وذلك لأنّ الملك على الحقيقة له لأنه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه. وكذلك الحمد لأنّ أصول النعم وفروعها منه، وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾.

﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ يعني: فمنكم آتٍ بالكفر وفاعل له ومنكم آتٍ بالإيمان[2] وفاعل له. كقوله تعالى: ﴿وجعلنا في ذريتهما النبوّة والكتاب، فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾[3] والدليل عليه قوله تعالى:

---

(1) رواه الثعلبي والواحدي وابن مردويه في تفاسيرهم والزيلعي 4/ 37.

(2) قال أحمد: لقد ركب عمياء وخبط خبط عشواء، واقتحم وعراً السالك فيه هالك والغابر فيه عائر، وإنما ينصب إلى مهاوي الأراك ويحوم حول مراتع الإشراك، ويبحث ولكن على حتفه بظلفه ويتحتف، وما هو إلا يتشدق ويتحقق وما هو إلا يتفسق، وهب أنه أعرض عن الأدلة العقلية والنصوص النقلية المتظافرة على أن الله تعالى خالق كل شيء، واطرد له في الشاهد ما ادعاه ومن مذهبه قياس الغائب على الشاهد، قد التجأ إلى الاعتراف بأن الله خالق = العبد الفاعل للقبيح، وأن خلق العبد الفاعل للقبيح بمثابة إعطاء السيف الباتر للرجل الفاجر، وأن هذا قبيح شاهداً، ولا يلزم أن يكون مثله قبيحاً في خلق الله تعالى، أفلا يجوز أن يكون منطوياً على حكمة استأثر الله تعالى بعلمها، فما يؤمنه من دعوى أن أفعال العبد وإن استقبحها العقلاء مخلوقة لله تعالى، وفي خلقها حكمة استأثر الله بعلمها، وهل الفرق إذاً إلا عين التحكم ونفس اتباع الهوى هذا، ودون تمكنه من اتباع هذه القواعد أن يمكن من القتاد اختراط، ومن الجمل أن يلج في سم الخياط.

(3) سورة الحديد، الآية: 26.